سموت إلى عنان المجد

[الوافر]

لَـقَـدْ قَـالَـتْ عُـبَـيْـلَـةُ إِذْ رَأَتْـنـي،
وَمَـفْـرِقُ لِـمّـتـي مِـثْـلُ الـشَّـعـاعِ:(١)
أَلا لـلَّـهِ دَرُّكَ مِـنْ شُـجَـاعٍ،
تَـذِلّ لـهَـوْلِـهِ أُسْـدُ الـبِـقـاعِ(٢)!
فَـقُـلْـتُ لـهـا: سَـلـي الأَبْـطـالَ عَـنـي،
إِذا مـا فَـرّ مُـرْتَـاعُ الـقِـرَاعِ(٣)
سَـلـيـهِـمْ يُـخْـبِـرُوكِ بـأَنّ عَـزْمـي
أَقَـامَ بـرَبْـعِ أَعْـدَاكِ الـنّـوَاعـي(٤)

= تنعق مؤذنة بالرحيل عن الأحبّة في ليل يتناقل أصواتها فتصكّ المسامع، إنه رحيل لا رجعة فيه، يلفّ الحزن الأطلال وقد تخلّى عنها ساكنوها فارتحلوا، والشاعر بدوره يغادر الديار لا يدري وجهته، وهو على يقين أنه قد لا يلتقي صحبة ألفهم وأحبّهم، إنهم قد اقتنعوا أن لا لقاء بعد.

(١)، (٢) يذكر الشاعر قول عبلة معبّرة عن إعجابها به وببطولته، فقد رأته مكلّل النصر، ناصع الجبهة إباءً وكبرياءً، مثنية عليه وعلى شجاعته، قائلةً أنت الشجاع تذلّ لك الأبطال الأسود الشجعان، فأنت بطل الأبطال.

(٣)، (٤) ردّ عليها مؤكّداً نظرتها أن تسأل بدورها الأبطال عن شجاعته في ساحة المعركة حيث لا يبقى في الميدان يقارع الأبطال إلّا البطل، ويفرّ هارباً من لم يثبت في الساح جبناً وخوفاً، ولا بدّ من سؤال هؤلاء عمّا يفعله الشاعر، عن قوّته التي حوّلت ربوع أعدائها قاعاً صفصفاً، والنادبات يندبن قتلاهن.

أنـا الـعَـبْـدُ الـذي سَـعْـدي وَجَـدّي
يَـفُـوقُ عَـلـى الـسُّـهَـا فـي الارْتِـفَـاعِ[١]
سَـمَـوْتُ إلـى عَـنَـانِ الـمَـجْـدِ حَـتـى
عَـلَـوْتُ وَلـمْ أجِـدْ فـي الـجَـوّ ساعـي[٢]
وَآخَـرُ رَامَ أنْ يَـسْـعَـى كَـسَـعْـيـي
وَجَـدَّ بـجَـدّهِ يَـبْـغـي اتّـبـاعـي[٣]
فـقَـصّـرَ عَـنْ لَـحـاقـي فـي الـمَـعَـالـي،
وَقَـدْ أعْـيَـتْ بـهِ أيْـدي الـمَـسـاعـي[٤]
وَيَـحْـمِـلُ عُـدّتـي فَـرَسٌ كَـرِيـمٌ،
أُقَـدّمُـهُ إذا كَـثُـرَ الـدّوَاعـي[٥]
وَفـي كَـفّـي صَـقـيـلُ الـمَـتْـنِ عَـضْـبٌ،
يُـداوِي الـرّأسَ مِـنْ ألـمِ الـصُّـداعِ[٦]

---

(١)، (٢) الجدّ، بفتح الجيم: الحظّ، وحسن الطالع. السها: اسم كوكب خفي. عاد الشاعر إلى الافتخار بعبوديته، ولقد أنكر عنترة عبوديته وناضل ضدّ ذلك. يفخر الشاعر بأنه عبد سما به حظّه وحسن سعده حتى طاول السماء ولامس السها ذلك النجم الخفيّ بيديه، هناك أدرك منزلة العظماء، ولم يجد أحداً سواه يسعى لبلوغ تلك المرتبة الرفيعة.

(٣)، (٤) لم يقصر الشاعر تلك المحاولة على نفسه، فقد وُجد من دغدغته أمنيات عذاب، فسعى لبلوغ أعلى السماكين، ولكن قصّر به سعيه وخاب أمله فسقط سريعاً، ولم تُسعفه ملكاته بإدراك مناه.

(٥)، (٦) يفخر الشاعر بما لديه من أسباب التفوّق والغلبة، فعِدّته فرس كريم يحمل عِدّة سلاحه؛ فيمتطيه يوم الكفاح، وقد توفرت أسبابه، هناك يستعين بسيفه الصقيل لكثرة استعماله، القوي المقبض، والشاعر طبيب يداوي مرضاه بعناية فائقة يقضي عليهم بقطع أسباب صداعهم، فإذا برؤوسهم تتهاوى عن أجسادهم فيرتاحون من آلامهم.

وَرُمْحِي السَّمْهَرِيّ لَهُ سِنَانٌ،
يَلُوحُ كَمِثْلِ نارٍ في يَفَاعِ[١]
وَمَا مِثْلِي جَزُوعٌ في لَظَاها،
وَلَسْتُ مُقَصّراً إنْ جاءَ داعي[٢]

المنيّة دوحة

يتوعد جموع الفرس بالحرب:

[الكامل]

قِفْ بالمَنازِلِ إنْ شَجَتْكَ رُبوعُها
فَلَعَلّ عَيْنَكَ تَسْتَهِلُّ دُموعُها[٣]
وَاسْأَلْ عَنِ الأَظْعانِ أينَ سرَتْ بها
آباؤها وَمَتى يَكُونُ رُجُوعُها[٤]؟

(١) ومن عتاده رمح سمهري لدن، سِنانه يبثّ نار الغضب يبدو للناظر من بعيد كنار ذكت في مرتفع من الأرض تبدو للعيان من بعيد.

(٢) إن الشاعر جريء لا يخاف من نار الحرب بل إنه لا يتوانى إذا ما دعت الحاجة لخوضها بكلّ ما أوتي من قوّة، ولا يتردّد خوفاً من نتائجها، فهي مضمونة النتائج بالنسبة إليه.

(٣)، (٤) شجتك: أحزنتك. تستهلّ دموعها: تستدرّها بغزارة. الأطلال رمز علاقة الإنسان بالأرض وبالتاريخ؛ فالربوع هجرها ساكنوها فبدت قفراء يلفّها الحزن، يقف الشاعر بتلك الربوع على أمل البكاء لعلّ ذلك يُخفّف شيئاً من أحزانه، وما يُهمه من تلك الأطلال فتاة في ميعة الصبا، وهي تركب هودجها على وشك الرحيل، والمشكلة إلى أين المصير؟ وهل ثمّة قرار أم تيه وضياع في صحراء متسعة الأطراف، والسؤال المحيّر متى يكون الرجوع إلى تلك الديار؟